﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾ [البقرة: 148]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الأَجْدَرُ بالمُؤْمِنينَ الاِشْتِغالُ بِفِعْلِ الخَيْراتِ

لمّا بَيَّنَت الآياتُ السّابِقَةُ أَنَّ الفِرَقَ المُخْتَلِفَةَ لا يَتَّبِعُ بَعْضُها قِبْلَةَ الآخَرِ، وأَنَّ عَدَمَ اتِّباعِهِم لشرعة الإسلام إِنَّما هُوَ مِنَ العِنادِ والمُكابَرَةِ، فهُمْ يَعْرِفونَ الحَقَّ، ولَكِنَّهُمْ لا يَتَّبِعونَهُ، جاءَ الخِطابُ في هَذِهِ الآيَةِ، لِيُبَيِّنَ أَنَّ كُلَّ قَوْمٍ يَتَّبِعونَ قِبْلَتَهُم، لِيُنَبِّهَنا إلى أَنَّنا يَجِبُ أَنْ نَتَّجِهَ إلى قِبْلَتِنا وشَرْعِنا، ولَيْسَ عَلَيْنا أَنْ نُغَيِّرَ ما عِنْدَ غَيْرِنا، إِنِ اتَّبَعوا أَهْواءَهُمْ بَعْدَ أَنْ عَرَفوا الحَقَّ، بَلْ نَنْصَرِفُ إلى فِعْلِ الخَيْراتِ والطّاعاتِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

الإِحاطَةُ والشُّمولُ، مَنوطَةٌ بِما يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّياقُ

1) ﴿وَلِكُلّٖ﴾: (كلّ) اسْمٌ دالّ عَلى الإِحاطَةِ والشُّمولِ، وهُوَ مُبْهَمٌ يَتَعَيَّنُ بالمُضافِ إِلَيْهِ، فإِذا حُذِفَ المُضافُ إِلَيْهِ، عُوِّضَ عَنْهُ بالتَّنْوينِ المُسَمَّى تَنْوينَ العِوَضِ؛ لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلى المُضافِ إِلَيْهِ، فهُوَ عِوَضٌ عَنْهُ، ولا يُتَصَوَّرُ أَنَّ الإِحاطَةَ والشُّمولَ مُطْلَقَةٌ، بَلْ هِيَ مُقَيَّدَةٌ بالمُضافِ إِلَيْهِ، وبما يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّياقُ.

الوِجْهَةُ القِبْلَةُ والمَقْصِدُ، وكِلاهُما لَهُ دَوْرٌ في وَحْدَةِ الأُمَّةِ

2) ﴿وِجۡهَةٌ﴾: مِنَ الجذْرِ (وجه)، وهو أَصْلٌ يَدُلُّ عَلى مُقابَلَةِ لشَيْءٍ[1]، وهو أيضًا مُقْتَبَلُ الشَّيْءِ ومُقَدَّمُهُ المَكْشوفُ الَّذي يُعْرَفُ بِهِ، وتُعْرَفُ حَقيقَتُهُ، كوَجْهِ البَيْتِ والكَعْبَةِ والإِنْسانِ والحَيَوانِ[2]، والوِجْهَةُ: القِبْلَةُ، والمَقْصِدُ، وهِيَ حَيْثُما نَتَوَجَّهُ للشَّيْءِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وجه).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وجه).

والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: 148]، إشارَةٌ إلى الشَّريعَةِ، كقَوْلِهِ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48][1].

التَّوَجُّهُ إلى القِبْلَةِ الْتِفاتٌ وانْصِرافٌ إلَيْها بالكُلِّيَّةِ

3) ﴿مُوَلِّيهَا﴾: مِنَ الجذْرِ (ولي)، والأَصْلُ فيهِ: الوَلِيَّةُ: وهِيَ البَرْذَعَةُ، ما يوضَعُ على ظَهْرِ البَعير، كالسَّرْجِ للفَرَسِ، والوَلِيُّ: المَطَرُ، يَأْتي بَعْدَ الوَسْمِيّ، والوَسْمِيُّ هُوَ مَطَرُ الرَّبيعِ الأَوَّلُ، فيهِ مَعْنى المُتابَعَةِ، ومِنْهُ أُخِذَ التَّوَجُّهُ والانْصِرافُ، ومِنَ الأَصْلِ دَلَّ عَلى الاتِّجاهِ، والتَّوَجُّهُ إلى الشَّيْءِ التِفاتٌ وانْصِرافٌ إلَيْهِ، ووَلَّيْتُ وجْهِيَ كذا: أَقْبَلْتُ بِهِ عَلَيْهِ، وهُوَ في سِياقِ الآيَةِ بمَعْنى التَّوَجُّهِ والإقْبالِ، كُلٌّ مُوَلٍّ وجْهَهُ إلَيْها[2].

يُسْتَعارُ السَّبْقُ لإحْرازِ الفَضْلِ والتَّبْريزِ

4) ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾: مِنَ الجذْرِ (سبق)، والسَّبْقُ: القُدْمَةُ في الجَرْيِ، وفي كُلِّ شَيْءٍ؛ تَقولُ: لَهُ في كُلِّ أَمْرٍ سُبْقَةٌ وسابِقَةٌ، والجَمْعُ السَّوابِقُ، وقَدْ سَبَقَهُ يَسْبُقُهُ ويَسْبِقُهُ سَبْقاً: تَقَدَّمَهُ[3]، وهو أَصْلٌ يَدُلُّ على التَّقْديمِ، وتَقَدُّمِ الشَّيْءِ من بَيْنِ ما حَوْلَهُ في قُوَّةٍ وجِدٍّ[4]، والتَّقَدُّمِ إلى الأَشْياءِ، أَعْيانًا كانَتْ أَوْ مَعانيَ[5]، واسْتُعْمِلَ بمَعْنى الإفْلاتِ، وبمَعْنى المُضِيِّ، فمِنَ الإفْلاتِ وإعْجازِ المُلاحِقِ، قَوْلُهُ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت: 4]، وقَوْلُهُ: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: 60، المعارج: 41]، لَنْ يُعْجِزونا أَنْ نَفْعَلَ بِهِمْ ما نَشاءُ، ويُسْتَعارُ السَّبْقُ لإحْرازِ الفَضْلِ والتَّبْريزِ، وعَلى ذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: 10][6].

(1) الراغب، المفردات: (وجه).
(2) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/400.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (سبق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سبق).
(5) السمين، عمدة الحفّاظ: (سبق).
(6) الراغب، المفردات: (سبق).

والمعنى في الآيَةِ: التَّقَدُّمُ والاِسْتِباقُ والمُبادَرَةُ والمُناضَلَةُ في فِعْلِ الفَضائِلِ.

الـخَـيْرُ خِـلافُ الـشَّـرِّ، والمُسارَعَةُ إِلَيْهِ جَـوْهَـرُ الـدِّيـنِ الحَقِّ

5) ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، جَمْعُ خَيْر: مِنَ الجذْرِ (خور، خير)، والخَيْرُ: خِلافُ الشَّرِّ؛ لأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَميلُ إِلَيْهِ ويَعْطِفُ على صاحِبِهِ، وهُوَ مِنَ الرَّخاوَةِ والطَّراءَةِ، كما أَنَّ الشَّرَّ مِنَ الجَفافِ والحِدَّةِ، والاِسْتِخارَةُ: اسْتَخارَ الرَجُلَ: اسْتَعْطَفَهُ، (رَجا أَنْ يَلينَ قَلْبُهُ وباطِنُهُ ويَسْهُلَ، واللَّيِّنُ السَّهْلُ الباطِنُ يَنْعَطِفُ ويَنْثَني)، ويُجْمَعُ الخَيْرُ على خَيْراتٍ، ويُطْلَقُ الخَيْرُ على المالِ، لأَنَّهُ لُيونَةٌ في الحَياةِ، وطَراءَةٌ وسُهولَةٌ[1]، ولا يُقالُ للمالِ خَيْرٌ، حَتَّى يَكونَ كَثيرًا[2]، وسائِرُ ما في القُرْآنِ من لَفْظِ (خير)، هُوَ إِمّا مِنَ الخَيْرِ الَّذي هُوَ ضِدُّ الشَّرِّ، وإِمّا بمَعْنى أَفْضَلَ (أَيْ أَخْيَرَ).

أَصْـلُ (أتى) وُصولٌ إِلى مَكانٍ بِـقُـوَّةٍ تُـزيـلُ ما يَعوقُ

6) ﴿يَأْتِ بِكُمُ﴾: مِنَ الجذْرِ (أتى): وهُوَ مِنْ: أَتَّيْتُ الماءَ: سَهَّلْتُ سَبيلَهُ، ليَخْرُجَ إِلى مَوْضِعٍ[3]، والأَتِيُّ: النَّهَرُ يَسوقُهُ الرَّجُلُ إِلى أَرْضِهِ، وكُلُّ مَسيلٍ سَهَّلْتَهُ لماءٍ أَتِيٌّ[4]، والأَصْلُ فيه: وُصولٌ إِلى مَكانٍ بتَهْيِئَةٍ أَوْ قُوَّةٍ تُزيلُ ما يَعوقُ[5]، والإِيتاءُ: الإِعْطاءُ، آتى يُؤاتي إِيتاءً، وآتاهُ إِيتاءً: أَيْ أَعْطاهُ، فأَتَيْنا جِئْنا، وآتَيْنا أَعْطَيْنا[6]، (أَتَيْتَ بِهِ) من أَتى، بمَعْنى: جِئْتَ بِهِ، و(أُوتوا) من آتى، بمَعْنى: أَعْطى.

والمعنى في الآية: سيجمعكم اللّهُ من أيِّ مكان كنتم فيه يومَ القيامة.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خير).
(2) الراغب، المفردات: (خير).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (أتى).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (أتى).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أتى).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (أتى).

7) ﴿قَدِيرٌ﴾: مِنَ الجذْرِ (قدر)، وهُوَ من إمْساكِ الشّيْءِ وضَبْطِهِ كي لا يَتَسَيَّبَ، يقال: قَدَرَ عَلى الشّيْءِ، واقْتَدَرَ عَلَيْهِ: أي: قَوِيَ عَلَيْهِ[1]، والقُدْرَةُ إذا وُصِفَ بها الإنْسانُ، فاسْمٌ لهَيْئَةٍ لَهُ بها يَتَمَكَّنُ من فِعْلِ شَيْءٍ ما، وإذا وُصِفَ بها الباري تَعالى، فهِيَ نَفْيُ العَجْزِ عَنْهُ[2]، قالَ تَعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: 45].

القَديرُ الفاعِلُ لما يَشاءُ، عَلى قَدْرِ ما تَقْتَضي الحِكْمَةُ

والقَديرُ: هُوَ الفاعِلُ لما يَشاءُ، عَلى قَدْرِ ما تَقْتَضي الحِكْمَةُ، لا زائِدًا عَلَيْهِ، ولا ناقِصًا عَنْهُ، ولذَلِكَ لا يَصِحُّ أَنْ يوصَفَ بِهِ إلّا اللّهُ تَعالى[3]؛ وذَلِكَ لما فيهِ مِنَ المُبالَغَةِ[4].

❁ المَعْنَى الإجْمالِيُّ:

الواجِبُ التَّسْليمُ لأمْرِ الوَحْيِ، بلا تَأَخُّرٍ ولا تَهاوُنٍ

تَمْضي الآياتُ في تَأْييدِ مَوْقِفِ النَّبِيِّ ﷺ، في توجُّهِه إلى المَسْجِدِ الحَرامِ، وإبْطالِ دَعاوى المُنْكِرينَ، فذَكَرَ اللّهُ تَعالى، أَنَّ لكُلِّ أُمَّةٍ قِبْلَةً خاصَّةً بها، فلَيْسَ لكُلِّ الأُمَمِ قِبْلَةٌ واحِدَةٌ: فللْيَهودِ قِبْلَةٌ، وللنَّصارى قِبْلَةٌ، وللمُسْلِمينَ قِبْلَةٌ، والواجِبُ التَّسْليمُ لأمْرِ الوَحْيِ، واللّهُ يُجازي كُلَّ عامِلٍ بما عَمِلَ، والأَمْكِنَةُ في ميزانِ اللّهِ واحِدَةٌ، فلا تُجادِلوا في تَحْويلِ القِبْلَةِ، ولا تَعْتَرِضُوا عَلَيْهِ، وقِبْلَةُ المُسْلِمينَ واحِدَةٌ، في مُخْتَلِفِ أَنْحاءِ الأَرْضِ، في البَرِّ والبَحْرِ والجَوِّ، ولا فائِدَةَ من مُحاجَّةِ المُشْرِكينَ في القِبْلَةِ، بَلِ اخْشَوُا اللّهَ ولا تَعْصوا لَهُ أَمْرًا، فأَيْنَما تَكونوا يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَميعًا يَوْمَ القِيامَةِ، فيُحاسِبُكُمْ عَلى أَعْمالِكُم، واللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ[5].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قدر).
(2) الراغب، المفردات: (قدر).
(3) الراغب، المفردات: (قدر).
(4) السمين، عمدة الحفاظ: (قدر).
(5) وهبة الزحيلي، التّفسير المنير: 2/31.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ وَصْلِ الجملِ بَعْدَ الاِسْتِئْنَافِ:

توجيهُ المؤمنين إلى الاهْتِمَامِ بالمَقَاصِدِ، وتركِ الجدالِ بغيرِ طائِل

بَعْدَ أَنْ تَمّ الاعْتِراضُ والاسْتِطْرادُ في الآيَتَيْنِ السّابِقَتَيْنِ، رَجَعَ الكَلامُ إلى موضوعِ اسْتِقْبالِ القِبْلَةِ، فالجُمْلَةُ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ مَعْطوفَةٌ، عَلى قوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ﴾، فالآيَةُ متَّصلَةٌ بتلْكَ الآياتِ، وفائِدَةُ الوَصْلِ أَنْ تَكونَ هَذِهِ الجُمْلَةُ تَذْييلًا لما سَبَقَ، من تَلْقينِ الرَّسولِ ﷺ الجَوابَ عَنْ قَوْلِهِمْ: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾، وتَبْيينِ فضيلَةِ قِبْلَةِ المُسْلِمينَ، وأَنَّهُمْ عَلى الحَقِّ، وتَأْييسِهِمْ من تَرَقُّبِ اعْترافِ اليَهودِ، بصِحَّةِ اسْتِقْبالِ الكَعْبَةِ، ذُيِّلَ ذَلكَ بهَذِهِ الآيَةِ الجامِعَةِ لمَعانٍ ساميَةٍ، للتَّحَوُّلِ عَنْ أَمْرِ المُجادَلَةِ مَعَهُم، والمَعْنى أَنَّ لكُلٍّ فريقٍ اتِّجاهًا في طَلَبِ الحَقِّ، وهَذا الكَلامُ مُوَجَّهٌ إلى المُسْلِمينَ، أَيْ: اتْرُكوا مُجادَلَةَ أَهْلِ الكِتابِ في أَمْرِ القِبْلَةِ، ولا تَنْشَغِلوا بخِلافِهِم، وفيهِ توجيهٌ للمُسْلِمينَ إلى الاهْتِمامِ بالمَقاصِدِ، والاعْتِناءِ بإِصْلاحِ مُجْتَمَعِهِم؛ ولذلك أَعْقَبَهُ بقَوْلِهِ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾، كما في قَوْلِهِ: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: 177][1].

حَذْفُ المُضافِ إِلَيْهِ لدَلالَةِ المَقامِ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلِكُلٍّ﴾:

حَذَفَ ما أُضيفَ إِلَيْهِ (كلّ) لدَلالَةِ المَقامِ عَلَيْهِ، سَواءٌ ذُكِرَ سابقًا أَمْ لَمْ يُذْكَرْ، والتَّقْديرُ: ولكُلِّ أَهْلِ دينٍ وِجْهَةٌ، أَوْ ولكُلٍّ مِنَ المُسْلِمينَ، واليَهودِ، والنَّصارى، وِجْهَةٌ، وحديثُ السِّياقِ عَنْ القِبْلَةِ، فيَكونُ المُضافُ إِلَيْهِ المَحْذوفُ بمَعْنى الأُمَّةِ أَوِ المِلَّةِ وغَيْرِهِ، والأَوْلى تَقْديرُ المُضافِ إِلَيْهِ بلَفْظِ المُفْرَدِ المُذَكَّرِ نَحْوَ (دينٍ، أَوْ إِنْسانٍ)؛ لاقْتِضاءِ صيغَةِ ﴿مُوَلِّيهَاۖ﴾ اللَّفْظيَّةِ، وللضَّميرِ (هُوَ) في قَوْلِهِ: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/41.

صلاحُ استعمالِ لَفْظِ ﴿وِجْهَةٌ﴾ للمَعْنَيَيْنِ الحَقيقِيِّ والمَجازِيِّ:

تُسْتَعارُ الوِجْهَةُ لما يَهْتَمُّ بِهِ المَرْءُ مِنَ الأمورِ، تَشْبيها بالمَكانِ المُوَجَّهِ إِلَيْهِ، وهو من تَشْبيهِ المَعْقولِ بالمَحْسوسِ، ولَفْظُ ﴿وِجْهَةٌ﴾ في الآيَةِ، صالِحٌ للمَعْنَيَيْنِ الحَقيقِيِّ والمَجازِيِّ، فالتَّعْبيرُ بِهِ كَلامٌ مُوَجَّهٌ، وهُوَ مِنَ المَحاسِنِ، وقَريبٌ مِنْهُ، قَوْلُهُ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48][1].

مَرْجِعُ الضَّميرِ ودَلالَتُهُ في قَوْلِهِ: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾:

اخْتِيارُ العَبْدِ يَجِبُ أَنْ يَتَّجِهَ إِلى اخْتِيارِ اللهِ، لِيَكونَ مُتَّبِعًا لَهُ بالكُلِّيَّةِ

في مَرْجِعِ الضَّميرِ في قَوْلِهِ: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ احْتِمالانِ:

الأوَّلُ: أَنْ يَكونَ المَرْجِعُ للفظِ (كُلٍّ)، وعليه أَكْثَرُ أَهْلِ اللُّغَةِ، والمَعْنى: "هُوَ مُوَلِّيها وجْهَهُ"، أَيْ: "وكُلُّ أَهْلِ وِجْهةٍ هُمُ الّذينَ ولَّوْا وُجوهَهُمْ إِلى تِلْكَ الجِهَةِ"[2]، قال الفَرّاءُ: "وقَوْلُهُ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ يَعْني: قِبْلَةً، ومُوَلِّيها: مُسْتَقْبِلُها، الفِعْلُ لكُلّ، يُريدُ: مُوَلٍّ وجْهَهُ إِلَيْها"[3]، فيَكونُ الضَّميرُ عائِدًا إِلى المُضافِ إِلَيْهِ المَحْذُوفِ في (كُلّ)، وتَقْديرُهُ: لكُلِّ إِنْسانٍ وِجْهَةٌ مُوَلِّيها وجْهَهُ[4].

الآخرُ: المُرادُ بِهِ (اللّه)؛ "قال قَوْمٌ: أَيْ: اللّهُ - عَلى ما يَزْعُمونَ - يُوَلِّي أَهْلَ كُلِّ مِلَّةٍ القِبْلَةَ الَّتي يُريدُ"[5].

والصَّحيحُ أَنَّ الضميرَ عائدٌ للفظِ كلٍّ فهو ما يقتضيه الظَّاهرُ، ويدلُّ عليه السِّياقُ، ولا يَصِحُّ أَنْ يَكونَ الضَّميرُ مُرادًا بِهِ اللّه، لأَنَّهُ تَكَلَّمَ عَنِ القِبْلَةِ الحَقِّ، ولَوْ اعْتَبَرْنا أَنَّ الضَّميرَ مُرادٌ بِهِ (اللّه)، لكانَ حُجَّةً وذَريعَةً للَّذينَ لَمْ يَتَّبِعوا النَّبِيَّ ﷺ في قِبْلَتِهِ، فيَكونُ الضَّميرُ للمُضافِ إِلَيْهِ المَحْذوفِ، الّذي قَدَّرْناهُ بالإِنْسانِ المُفْرَدِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/42.
(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/225.
(3) الفراء، معاني القرآن: 1/85.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/43.
(5) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/225، والنيسابوري، التّفسير البسيط: 3/400.

إيجازٌ بحَذْفِ المَفْعُولِ بِهِ في قَوْلِهِ: ﴿مُوَلِّيهَا﴾:

المَفعولُ الأَوَّلُ لمُوَلِّيها مَحْذوفٌ، والتَّقْديرُ: (هُوَ مُوَلّيها نَفْسَهُ أَوْ وجْهَهُ)، والمَعْنى هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْها ومُلازِمٌ لها[1].

براعةُ المَجازِ في قَوْلِهِ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾:

الاستباقُ إلى فِعْلِ الخَيْراتِ، ميدانُ الصَّالحين، ومضمارُ الكُمَّلِ الفالحين

المرادُ بالاسْتِباقِ، الاهْتِمامُ والحِرْصُ والمُبادَرَةُ، فكما يَكونُ المُتَسابِقُ حَريصًا عَلى التَّقَدُّمِ وفي الرُّتْبَةِ الأولى، فكَذلِكَ يَجِبُ أَنْ يكونَ المتسابقُونَ في فِعْلِ الخَيْراتِ، مُبادِرينَ لا تَذْهَبُ أَوْقاتُهمْ بالتَّسويفِ، ويجودونَ بالمَذْخورِ من وُسْعِهم، في فِعْلِ العَمَلِ الصّالِحِ[2]، والأَمْرُ بالاسْتِباقِ إلى الخَيْراتِ، قَدْرٌ زائِدٌ عَلى الأَمْرِ بفِعْلِ الخَيْراتِ، فإنَّ الاسْتِباقَ إليها، يَتَضَمَّنُ فِعْلَها، وتَكْميلَها، وإيقاعَها عَلى أَكْمَلِ الأَحْوالِ، والمُبادَرَةَ إليها.

نَقَلَ مُحْيي الدِّين زادَه عَنِ الرّاغِبِ قَوْلَهُ: "في الآية قَوْلٌ آخَرُ، وهُوَ أَنَّ اللهَ ﷻ قَيَّضَ النّاسَ في أُمورِ دُنْياهُمْ وأُخْراهُمْ، لأَحْوالٍ مُتَفاوِتَةٍ، وجَعَلَ بَعْضَهُمْ أَعْوانَ بَعْضٍ، فواحِدٌ يَزْرَعُ، وواحِدٌ يَطْحَنُ، وواحِدٌ يَخْبِزُ، وكذَلِكَ في أَمْرِ الدِّينِ؛ واحِدٌ يَجْمَعُ الحَديثَ، وآخَرُ يَطْلُبُ الفِقْهَ، وواحِدٌ يَطْلُبُ الأُصولَ، وهُمْ في الظّاهِرِ مُخْتارونَ، وفي الباطِنِ مُسَخَّرونَ، وإِلَيْهِ أَشارَ النَّبِيُّ ﷺ بقَوْلِهِ: (كُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَهُ)، وجَعَلَ للكُلِّ سَبيلًا للوُصولِ إِلَيْهِ تَعالى، إذا راعى ما هُوَ بصَدَدِهِ، وأَدَّى الأَمانَةَ"[3].

التَّوجُّه إلى القبلةِ لأنَّها من الخيراتِ، لا لمناكدةِ الآخر

دلالةُ لفظِ ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بين الخصوصِ السِّياقيِّ والعمومِ اللَّفظيّ:

المُرادُ من قَوْلِهِ: ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ اسْتِقْبالُ القِبْلَةِ، وهَذا معنًى سياقيٌّ خاصٌّ، ولتحلِّيه بالألِفِ واللّامِ ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ دلَّ عَلى الشُّمولِ[4]؛ فلَفْظُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/43.
(2) ابن جزَيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 1/100.
(3) زاده، حاشية على البيضاويّ: 2/380.
(4) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 1/312.

الخَيْراتِ عامٌّ، يَتَناوَلُ كُلَّ عَمَلٍ صالِحٍ بُيِّنٍ في الشَّرْعِ حُسْنُهُ وفَضْلُهُ، فاللَّفْظُ يَدُلُّ عَلى العُمومِ، والسِّياقُ يَدُلُّ عَلى الخُصوصِ، ولا تعارُضَ بين ما دلَّ عليه السِّياقُ، وما دلَّ عليه عمومُ اللَّفظِ، فالمُرادُ الجَميعُ؛ لأنَّها جاءَتْ تَعْقيبًا عَلى قَوْلِهِ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾، فهُو يقُولُ: إذا ثَبَتَ أَنَّ لكلِّ دينٍ قِبْلَةً يُصلُّونَ إِلَيْها، ولا يَنْصَرِفُونَ عَنْها إلى القِبْلَةِ الحَقِّ، وإِنْ أَتَيْتَهُمْ بكُلِّ آيَةٍ، تَدُلُّ عَلى أَنَّ القِبْلَةَ هِيَ الكَعْبَةُ، فإذا كان الأمْرُ كذَلِكَ، فاسْتَبِقوا أَنْتُمْ وبادِروا إلى أَفْعالِ الخَيْراتِ، وهِيَ ما ثَبَتَ أَنَّها مِنه تَعالى، ولا تَقْتَفوا أَمْرَ المُكابِرينَ، الذينَ يَتَّبِعونَ أَهْواءَهُمْ[1]، فانْصَرِفوا عَنِ الجَدَلِ في أَمْرِ القِبْلَةِ، وبادِروا بالأَعْمالِ الصّالِحَةِ، واتْرُكوا الجَدَلَ، واسْتَثْمِروا بالعَمَلِ.

عِلَّةُ الفَصْلِ في قَوْلِهِ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾:

والجُمْلَةُ في قَوْلِهِ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ فصْلٌ؛ لأنَّها جاءَتْ عِلَّةً للجُمْلَةِ السّابِقَةِ، فهِيَ تُبَيِّنُ سَبَبَ الأَمْرِ بالاسْتِباقِ، وفُصِلَتْ لأنَّ العِلَّةَ لا تُعْطَفُ؛ إِذْ هِيَ بمَنْزِلَةِ المَفْعولِ لأجْلِهِ، والمَعْنى: فاسْتَبِقوا إلى الخَيْرِ، لتَكونوا مَعَ الَّذينَ يَأْتي بِهِمُ اللّهُ للرَّفيقِ الحَسَنِ، لأَنَّ اللّه يَأْتي بالنّاس جَميعًا خَيْرِهِمْ وشَرِّهِمْ[2].

التَّنبيهُ على القِيامَةِ سبيلُ القرآنِ في التَّرغيبِ والتَّرهيبِ

فائِدةُ اسْتِعمالِ الاسْتِفهامِ في الشَّرطِ:

قالَ الفَرّاءُ: "إذا رَأَيْتَ حُروفَ الاسْتِفْهامِ قَدْ وُصِلَتْ بِـ (ما)، مِثْلَ قَوْلِهِ: أَيْنَما، ومَتَى ما، وأَيُّ ما، وحَيْثُ ما، وكَيْفَ ما، و﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء: 110]، كانَتْ جَزاءً ولَمْ تَكُنِ اسْتِفْهامًا"[3]، فأَيْنَما اسْمُ شَرْطٍ دالٌّ عَلى المَكانِ، وجَوابُهُ: ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾، والمَعْنى أَنَّهُ في أَيِّ مَكانٍ كُنْتُم، لا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ اللّهُ تَعالى بكُم، وتَجْتَمِعوا للجَزاءِ

بيانُ قدرةِ اللهِ تعالى المحيطةِ بكلِّ أحدٍ، فلا يفلتُ منه قريبٌ أو بعيدٌ

(1) زاده، حاشيّة على البيضاويّ: 2/379.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/42-43.
(3) الفراء، معاني القرآن: 1/85.

يَوْمَ القِيامَةِ، فهُوَ وعْدٌ لأَهْلِ الطّاعَةِ بالثَّوابِ، ووَعيدٌ لأَهْلِ المَعْصِيةِ بالعِقابِ، ففي هَذِهِ العِبارَةِ، تَبْشيرٌ وإِنْذارٌ؛ تَبْشيرٌ لمَنِ اسْتَبَقوا الخَيْراتِ، وإِنْذارٌ لمَنْ كابَروا ولَجُّوا وعانَدوا في اتِّباعِ الحَقِّ[1]، وفائدةُ استعمالِ أداةِ الاستفهامِ في أسلوبِ الشَّرطِ بيانُ قدرةِ اللّه تعالى المحيطةِ على الإتيانِ بكلِّ أحدٍ مهما نأتْ به ديارُه، وتباعدتْ جهاتُه.

دلالَةُ المَجازِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾:

البَعْثُ مِنَ القُبورِ، أَمْرٌ حَتْمِيٌّ للعَوْدَةِ والنُّشورِ

الإتْيانُ بالشّيْءِ جَلْبُهُ، وهُوَ بمَعْنى البَعْثِ مَجازٌ، أَيْ: يَبْعَثْكُمْ من قُبورِكُم، فذَكَرَ الإتْيانَ بالنَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ، وأَرادَ البَعْثَ مِنَ القُبورِ والإِحْياءَ للحِسابِ والجَزاءِ[2]، وأفاد هذا التَّعبيرُ الكشفَ عمَّا يجولُ في نفوسِ بعضِ النَّاسِ من الحرصِ على المهربِ من ذلك اليومِ الجَلَلِ.

والتَّعبيرُ بلفظِ الجلالةِ يوحي بالمهابةِ والعظمةِ، ممَّا يزيدُ من الشُّعورِ بأنَّ الفاعلَ هو اللّه تعالى، وهذا يزيدُ التَّأكيدَ الحتميَّ الذي لا مفرَّ من اعتقادِه والعملِ له.

بلاغةُ الفاصلةِ في قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

البَعْثُ والجَزاءُ في المَصيرِ، دَلائِلُ عَلى قُدْرَةِ القَديرِ

بيَّن سبحانه وتعالى قُدْرَتَهُ بهَذِهِ الجُمْلَةِ المُؤَكَّدَةِ بـ (إنَّ)، وبكَوْنِها جُمْلَةً اسْمِيَّةً، ثُمَّ تَصْديرُها بلَفْظِ الجَلالَةِ الدّالِّ عَلى القُدْرَةِ الَّتي لَيْسَتْ فوْقَها قُدْرَةٌ، مَعَ دَلالَةِ حَرْفِ الاسْتِعْلاءِ (عَلى)، الدّالِّ عَلى التَّمَكُّنِ، وصيغَةِ العُمومِ والشُّمولِ في لَفْظِ (كُلّ) المُضافِ إلى نَكِرَةٍ، وكُلُّ هَذِهِ رَوافِدُ تُضْفي تَأْكيدًا وقُوَّةً للمَعْنى المُضَمَّنِ، وفائِدَةُ هَذا الخَبَرِ المُؤَكَّدِ التَّعْقيبُ بحَسَبِ ما يَقْتَضيهِ الحالُ؛ فهُوَ يُناسِبُ المَعانيَ السّابِقَةَ، فجاء تَذْييلًا لها.

ولَمّا سَبَقَ الأَمْرُ باسْتِباقِ الخَيْراتِ، والعُزُوفِ عَنِ الجِدالِ،

(1) القنوجي، فتح البيان: 1/312، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/457.
(2) ابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 1/101.

والتَّفَرُّغِ للعَمَلِ، ثُمَّ قالَ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾، وفيهِ مَعْنى الإعادَةِ بَعْدَ المَوْتِ، وما يَتْبَعُهُ مِنَ الجَزاءِ والحِسابِ، ناسَبَ أَنْ يُذَيِّلَهُ بتَعْقيبٍ عَلى تِلْكَ المَعاني تَأْكيدًا عَلَيْها[1]، في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

السِّمةُ التَّعبيريّةُ والتّناسُبُ اللَّفْظِيُّ في السِّياقِ:

بِناءُ الآيَةِ عَلى ألفاظِ الإحاطةِ والشُّمولِ يَزيدُ مَعانِيَها قُوَّةً وتَأْكيدًا

طُبِعَتْ هَذِهِ الآيَةُ بطابَعِ القُوَّةِ والتَّأْكيدِ، فمِنَ التَّناسُبِ اللَّفْظِيِّ: غَلَبَةُ الأَلْفاظِ الدّالَّةِ عَلى العُمومِ والشُّمولِ: ﴿وَلِكُلٍّ﴾، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾، ﴿جَمِيعًا﴾، ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾، ﴿شَيْءٍ﴾ (نَكِرَةٌ)، ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، شامِلَةً لكُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ؛ فكُلُّ هَذِهِ الأَلْفاظِ دالَّةٌ عَلى الشُّمولِ والسَّعَةِ، وهَذا الشُّمولُ يُناسِبُ المَعانيَ المُؤَكَّدَةَ الَّتي جاءَتِ الآيَةُ لبَيانِها، ومِنَ التَّناسُبِ اسْتِعْمالُ الأَلْفاظِ الَّتي تَتَوافَقُ في الدَّلالَةِ العامَّةِ، فالألْفاظُ: (وِجْهَةٌ، مُوَلِّيها، اسْتَبِقوا)، كُلُّها تَتَضَمَّنُ الاتِّجاهَ في المَكانِ، والسَّيْرَ ضِمْنَ حَيِّزٍ، وكذَلِكَ ناسَبَهُ اسْتِعْمالُ اسْمِ الشَّرْطِ الدّالِّ عَلى المَكانِ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾، ومِنَ الألفاظِ المُكَرَّرَةِ (وَلِكُلٍّ، عَلَىٰ كُلِّ)، وهَذا التَّكْرارُ يَتَناسَبُ مَعَ سِياقِ الآيَةِ وغَرَضِها في الدَّلالَةِ عَلى الشُّمولِ والإطْلاقِ، ويَظْهَرُ هَذا التّناسُبُ أَكْثَرَ عِنْدَ مُلاحَظَةِ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ ﴿جَمِيعًا﴾ أَيْضًا.

وهَذِهِ الآيَةُ فيها ثَلاثَةُ أَفْعالٍ فقَطْ، فقَدْ بُنِيَتْ عَلى الأَسْماءِ؛ وهَذا يَزيدُ مَعانِيَها قُوَّةً وتَأْكيدًا، فابْتَدَأَتْ بجُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ تَدُلُّ عَلى العُمُومِ، وانْتَهَتْ بجُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ مُؤَكَّدَةٍ تَدُلّ عَلى القُدْرَةِ المُطْلَقَةِ.

(1) القنوجي، فتح البيان: 1/312، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/44.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»